*حمل الكلام على البدل والتوكيد*

*بحث في النحو*

*إعداد/ عادل محمد فتحي*

*قسم اللغة العربية*

*كلية العلوم الاسلامية – جامعة المدينة العالمية*

شاه علم - ماليزيا

*adel.mater@mediu.edu.my*

***خلاصة—هذا البحث يبحث في حمل الكلام على البدل والتوكيد.***

*الكلمات المفتاحية: البدل، التباديل، الأفعال.*

# ***المقدمة***

معرفة *أسس حمل الكلام على البدل والتوكيد،* ابن مضاء في كتابه (الرد على النحاة) يقول: قام زيد. قام: فعل ماض، وزيد: فاعل. وحين نقول: قام زيد، أو نجح الطالب، أو عاد الغريب، نكون قد بنينا الجملة على الفعل، وشكل الإسناد هكذا: قام زيد. فقام: فعل، وزيد: فاعله، وحين نقول: زيد قام. يكون الإعراب عند ابن مضاء: زيد: فاعل، وقام: فعل، هذا ما ذكره صاحب الرد على النحاة، الذي علق عليه المعلقون بأن الأمل كان مرجوًّا منه في أن يقول شيئًا جديدًا في النحو؛ لكنه حاول أن يرد على النحاة، فما أتى بجديد.

1. *المقالة*

فماذا يقول سيبويه عليه رحمة الله؟

يقول: وذلك قولك: رأيتُ قومَك أكثرَهم. ورأيتُ بني زيدٍ ثلثيهم، ورأيتُ بني عمِّك ناسًا منهم، ورأيت عبد الله شخصه. ملاحظة تكرار عبد الله وكأن الرجل يعالج مسائل التوحيد وأننا كل من فينا لله عبد، وصرفت وجوهها أولها فهذا يجيء على وجهين، وسيبويه قبل أن يذكر الوجهين، قال: وذلك قولك. أي: الباب الذي هو من الفعل الذي يستعمل في الاسم. ثم يبدل مكان ذلك الاسم اسم آخر؛ فيعمل فيه كما عمل في الأول، مثاله: رأيتُ قومَك أكثرهم.

يبين سيبويه ما الأصل فيه، فيقول: على أنه أراد رأيت أكثر قومك، تفسير سيبويه هذا رأيت أكثر قومك لا يتفق والعنوان؛ لأن معنى قوله: رأيت أكثر قومك، ليس معناه باب من الفعل، أو ليس هو المراد بقوله: هذا باب من الفعل يستعمل في الاسم ثم يبدل مكان ذلك الاسم اسم آخر. وإنَّما هو يريد: هذا أصل التركيب في الذهن؛ أنه رأى أكثر قوم مخاطبهم؛ لكنه لم يرد أن يعبر هكذا، فقال: رأيت قومك أكثرهم، هذا المثال هو الذي ينطبق عليه العنوان، هذا الذي يكون تطبيقًا للعنوان.

العنوان: أنَّ الفعل قد جاء، واستعمل في قوم فنصب، أنتم تعلمون يقول: رأيتُ ظننتُ زعمتُ يأتي بالفعل والفاعل معه، رأيت: فعل وفاعل، والإسناد إلى التاء ليس على سبيل إرادة الإبدال، وليس على سبيل إلا سبيل واحد وهو إسناد الفعل إلى فاعله. ما الذي جاء بعد التاء؟

قومك: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة، أكثرهم هذا هو الذي أردت أن تضعه موضع قومك، وهذا الذي ينطبق عليه العنوان، ويفسره العنوان، رأيت قومَك أكثرَهم.

فإذا قال سيبويه: على أنه أراد: رأيت أكثر قومِك. هذا ليس من باب أنه أسند إلى الاسم ثم بدا له أن يسند مكان هذا الاسم اسمًا آخر. لا، هذا هو المتصور في ذهن المتكلم. المتكلم أراد أن يقول: رأيت أكثر قومك؛ لكنه وجد أن قوله: رأيت قومك أكثرهم. أبلغ، وأقرب إلى البيان، وإلى التوكيد. كأنه لما قال: رأيت قومَك. أراد أن يحول -أتدرون ما التحويل?- أراد أن يقول تعبيرًا دقيقًا؛ لأن قوله: رأيت قومَك، يفيد أنه رأى القوم جميعًا وهذا لم يحدث، فأراد أن يعبر بالدقة والأمانة والإخلاص. فماذا قال؟

قال: رأيت قومَك أكثرهم. وكأنه حين قال: رأيتُ بني زيد ثلثيهم، قال: رأيت ثلثي بني زيد، التي عبر عنها سيبويه بقوله: ورأيت ثلثي قومِك، هو لم يقل: رأيت قومَك ثلثيهم. وإنما قال: رأيت بني زيد ثلثيهم.

فجاء المثال على الاختصار، وهذه من عادة سيبويه،نقول: ورأيتُ ثلثي قومِك. هو قال: رأيت بني زيد ثلثَيهم، فكان عليه أن يقول: رأيت ثلثي بني زيد. إلا أن في ذلك قلقًا واضطرابًا وتطويلًا؛ فقال: رأيت ثلثي قومِك. كأنه لما قال: رأيت بني زيد ثُلثَيهم؛ قال: رأيت قومَك ثلثَيهم، فكأنه راعى عملية التباديل والتوافيق التي يقول عنها الرياضيون.

وصرفت وجوه أولها، ولكنه ثنى الاسم؛ توكيدًا كما قال الله تعالى: {ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ} [ص: 73] الاستشهاد بالآية، فيه إلباس وضِّحه، وبين مراد سيبويه.

والجواب عن ذلك: أن قوله تعالى: {ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ} جاء مشتملًا على توكيد، وسيبويه يتحدث في البدل لا في التوكيد، مما يفيد أنه يجعل البدل ضربًا من ضروب التوكيد اللفظي، أو المعنوي، بدليل أنه قال: توكيدًا كما قال تعالى: لكن مراد سيبويه غير ذلك. إنَّ مراد سيبويه: أن في التعبير بالبدل ضربًا من التوكيد، يعني: لم يناظر، ولم يجعل الآية كالمثال، ولم يجعل المثال كالآية، وإنَّما قال: هو ضرب من التوكيد. أو الذي قال: رأيت قومك أكثرهم أكد بهذا النمط، أكد بهذا النحو. كما أكد ربنا تعالى، في قوله تعالى: {ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ} لا خلاف في أن كلمة: كلهم، توكيد. ليست بدلًا، ليست صفة، ليست معطوفًا، فهو يشبه التوكيد المستفاد من نظم البدل، بالتوكيد الحقيقي الموجود في نظم الكلام، وأعلاه كلام الله  لذلك قال: كما قال -جل ثناؤه: {ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ} معنى ذلك، أن كلهم توكيد بلا خلاف، وأن أجمعون كذلك توكيد بلا خلاف.

فما وجه الشبه بين التوكيد في الآية وبين التوكيد في قول القائل: رأيت قومك أكثرَهم، ورأيت قومك ثلثيهم؟

الجواب: أن التوكيد في الآية: {ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ} من المنصوص عليه، المعنون له بالكلمات المحفوظة، ومنها: النفس، والعين، وأنفس، وأعين. أما التوكيد المستفاد من قول القائل: رأيت قومَك أكثرَهم، فمفاده أنه ثنى القول؛ لأن قوله: رأيت قومَك فيه ذكر للقوم؛ ولأن قوله: ثلثَيهم؛ فيه ذكر للقوم بذكر ثلثيهم، أو ربعهم أو نصفهم. إذن فالمسألة التوكيد فيها كالتوكيد الذي قاله ابن مضاء ومن وافقه من الكوفيين الذين قالوا: إن الفاعل يجوز تقديمه على فعله مع بقائه فاعلًا:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ما للجمال مشيها وئيدا | \* | .... .... .... .... |

أو: الطالبُ نجح. يقول ابن مضاء: إن قولنا: الطالب نجح. الطالب: فاعل، وحين نقول: نجح الطالب. الطالب: فاعل. لكنا قدمنا الطالب ليكون ذلك آكد.

ابن مضاء في كتابه (الرد على النحاة) يقول: قام زيد. قام: فعل ماض، وزيد: فاعل. وحين نقول: قام زيد، أو نجح الطالب، أو عاد الغريب، نكون قد بنينا الجملة على الفعل، وشكل الإسناد هكذا: قام زيد. فقام: فعل، وزيد: فاعله، وحين نقول: زيد قام. يكون الإعراب عند ابن مضاء: زيد: فاعل، وقام: فعل، هذا ما ذكره صاحب الرد على النحاة، الذي علق عليه المعلقون بأن الأمل كان مرجوًّا منه في أن يقول شيئًا جديدًا في النحو؛ لكنه حاول أن يرد على النحاة، فما أتى بجديد.

الجمهور من أهل البصرة كانوا أوعى من ابن مضاء من هذه الناحية التي ذكرها سيبويه هنا، لأنهم قالوا: نحن إذا قدمنا الاسم باعتباره مبتدءًا، فمعنى ذلك: أن زيد في قولنا: زيد قام. يكون قد أسند إليه الفعل مرتين. معناه: أنك حين تقول: زيد قام. معروف أن المبتدأ يسند إليه الخبر، والخبر جملة فعلية، فزيد قام، فيها معنى أن زيد قام، ولكن إذا عرضت قام على أنها فعل ماض، نقول لك: أين فاعله؟عند ابن مضاء فاعله زيد، وقد تقدم؛ لكن عند الجمهور فاعله ضمير مستتر، هذا الضمير المستتر يعود على زيد، فكأنه أسند مرة إلى زيد، ومرة إلى ضمير زيد، والإسناد إلى ضمير زيد إسناد إلى زيد. ومعنى ذلك: أن الفعل مع الجملة الاسمية على هذا التركيب المعنى فيه معنى التركيب. لأنه ثنى الإسناد، يعني: أسند إلى الاسم، وأسند إلى ضمير الاسم. هذا هو الذي لا خلاف فيه.

والذي هو واضح التوكيد، حين تقول: رأيت أكثر قومِك. وتقول: رأيت قومك أكثرهم، كأنك تقول: رأيت قومك رأيت أكثرهم فثنيت، وفي هذه التثنية توكيد كالتوكيد المنصوص عليه في آية الحجر وآية ص من قول الله تعالى: {ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ} هذا مراد سيبويه ومفتاح بابه، الذي سماه: هذا باب من الفعل يستعمل في الاسم ثم يبدل مكان ذلك الاسم اسم آخر، فيعمل فيه كما عمل في الأول.

الله تبارك وتعالى يقول: {ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ} [البقرة: 217] عرفنا وجه الشبه بين هذا، وبين قوله: رأيتُ قومَك أكثرَهم. لكن قال: فمن ذلك قوله : {ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ} وذكر قول الشاعر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وذكرت تقتد برد مائها | \* | وعتك البول على أنسائها |

كأن برد مائها: فيه الضمير الذي يعود على النهر، وقتال فيه: فيه الضمير الذي يعود على الشهر، فكأنه ينبهك إلى أن من هذا القبيل الذي عمل الفعل في اسم، ثم أردنا أن نبدل مكان الاسم اسمًا آخر يعمل فيه هذا الفعل نفسه، من هذا القبيل بدل الاشتمال، وبدأ بالآية، وثنى بالشعر.

قال سيبويه: ويكون على الوجه الآخر وهو أن يتكلم فيقول: رأيت قومَك، ثم يبدو له أن يبين ما الذي رأى منهم، ومن هنا نقف ونقول: البداء يختلف عند سيبويه، وعند غيره وضح ذلك، فتقول: إن المرجع إلى ما نبهتنا إليه يا شيخنا من تحليلك للعنوان؛ فإن الرجل قال: ثم، وهاهنا يعود فيقول: ثم. أي: بعد أن قلت: رأيت قومك، بدا لك أن تبين: أرأيت الربع؟ أرأيت الثمن؟ أرأيت الثلث؟ أرأيت الثلثين؟ ما الذي رأيت منهم؟ وهذا بداء، وقد يأتي البداء في أسلوب سيبويه، ويراد به الغلط.

وكأن ابن هشام حين ذكر بدل البداء، على أنه بدل الغلط كان في حاجة إلى مراجعة لسيبويه؛ ليفيدنا وليقول لنا: إن البداء ليس شرطًا أن يكون إضرابًا بالكلية: {ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ} [يوسف: 35] لقد انصرفوا بالكلية عن براءته، وتركه، قالوا: ولماذا وقد سمعت نساء بالمدينة، فصرفوا النظر عن براءته، {ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ} [يوسف: 29]. وانتهى الأمر؛ لكن تعال يوسف: {ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ} [يوسف: 36] إذن لما بدا لهم البداء، كان البداء الذي ذهب، أن تتحول الحرية إلى سجن، وأن يتحول الحكم بالبراءة إلى حكم بالإدانة في الظاهر؛ فإن السجن دليل على تلك الإدانة، وإن لم تكن صراحة بأنت مدين، ولذلك قالت: {ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ} [يوسف: 51] فالبداء الذي جرى هو بداء بالكلية، أما هنا فبداء بما بدى من رؤية التوكيد بعد الإرسال، فكأن سيبويه حين قال: كأن المتكلم أراد رأيت أكثر قومِك.

هذا كلام مرسل لا توكيد فيه، نحن لا نعني بالتوكيد أن تأتي بقد أو بالمفعول المطلق، أو بنحو ذلك وإنَّما نعني بالتوكيد، ضربًا آخر في التصرف في بناء التراكيب، وقد تصرف سيبويه، وعلمنا كيف نتصرف، فجعل التركيب محولًا من: رأيت أكثر قومِك. إلى رأيت قومَك أكثرَهم. بالتثنية أي: بالإعادة، والإعادة ضرب من التوكيد، كما قال الله تعالى: {ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ}.

يقول: إن هناك أصلًا حدث، وإسنادًا أصليًّا كان، ولكن بعد هذا الإسناد الأصلي بدا بداء، هذا البداء ليس إضرابًا بالكلية؛ وإنَّما هو تحويل الكلام من إرسال إلى توكيد، أو من مرسل إلى مؤكد، وهو الذي بينه بقوله: ثم يبدو له أن يبين ما الذي رأى منهم؟ كأن ضربًا من التفصيل والدقة قد حدث في ذهن المتكلم، أراد أن يبين أن الذي رآه من قومه الثلث، أو أن الذي رأى من قومه الربع، أو أن الذي رأى من قومه الثمن، وهكذا. فقال: رأيتُ قومَك ثلثَيهم. أو رأيت قومَك ثُلثَهم. كأن في ذلك إشعارًا من سيبويه بأن قوله: رأيت قومَك يجوز على التسامح؛ لكن إذا أردت الدقة بدا لك ما الذي يمكن أن تضيفه في سبيل الدقة من تحديد ما رأيت، فقلت: رأيت قومك ثلثَيهم. أو رأيت قومَك رُبُعهم.

# المراجع والمصادر

1. سيبويه، عمرو بن عثمان سيبويه (الكتاب) ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الجيل، 1991م
2. المبرد، محمد بن يزيد المبرد (المقتضب)، دار الكتب العلمية، 2000م
3. بن مالك، محمد بن عبد الله بن مالك (شرح التسهيل)، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1990م
4. القفطي، جمال الدين علي بن يوسف القفطي (أنباه الرواة على أنباه النحاة)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، 1950م
5. بن كثير، إسماعيل بن كثير (طبقات الشافعية)، دار المدار الإسلامي للتوزيع، 2003م
6. الحنبلي، ابن العماد عبد الحي بن أحمد الحنبلي (شذرات الذهب في أخبار من ذهب)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، سوريا، دار ابن كثير، 1986م
7. الأنباري، عبد الرحمن بن محمد الأنباري (الإنصاف في مسائل الخلاف)، دار الكتب العلمية، 2007م
8. الأنباري، أبو البركات بن الأنباري (البيان في غريب إعراب القرآن)، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م
9. الأنصاري، جمال الدين بن هشام الأنصاري (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م
10. الأشموني، علي بن محمد الأشموني (شرح الأشموني على ألفية ابن مالك)، دار الكتب العلمية، 1998م
11. بن جني، ابي الفتح عثمان بن جني (الخصائص)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 2006م
12. بن مالك، محمد بن عبد الله بن مالك (شرح الكافية الشافية)، دار الكتب العلمية، 2000م
13. الشافعي، محمد بن علي الصبان الشافعي (حاشية الصبان على شرح الأشموني)، دار الكتب العلمية، 1997م
14. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (بغية الدعاة في طبقات اللغويين والنحاة)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1964م
15. الطنطاوي، محمد الطنطاوي (نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م
16. الأستراباذي، محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي (شرح الرضي على الكافية)، تحقيق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، 1978م
17. بن يعيش، يعيش بن علي بن أبي يسار بن يعيش (شرح المفصل)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1996م.
18. بن منظور، محمد بن مكرم بن منظور (لسان العرب)، بيروت، دار صادر، 1970م
19. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (اللباب في علل البناء والإعراب)، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م
20. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (همع الهوامع في شرح جمع الجوامع)، دار الكتب العلمية، 1997م
21. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن عليّ بن حيان الأندلسي (تفسير البحر المحيط)، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، 1413هـ